الفن الإسلامي و أبعاده الحضارية عند " روجيه غارودي"

Islamic art and its cultural dimensions according to Roger Garaudy

سفيان عمران

جامعة محمد الأمين دباغين سطيف2 (الجزائر) s.amrane@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/06/05 تاريخ القبول: 2021/05/13 تاريخ النشر: 2022/07/31

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تبيين معالم تميّز الفن الإسلامي، برسالته الواضحة التي تؤكد الاتصال العميق بين الفن والدين، وبمنطلقاته السامية التي ترتبط بالمسجد، والعقيدة الإسلامية، والأبعاد الحضارية للفن، والتي تجعل منه صلاة كونية تؤثر في جميع العقائد الأخرى، كل هذا يحتاج إلى تحليل لهذه المسائل،وإجراء حفر أركيولوجي في خطابات " غارودي" لتأكيد الأبعاد السامية، مع تفكيك لهذه الخطابات، وكانت أهم النتائج المتوصل إليها أنّ الفن الاسلامي، يعبر عن ذلك الاتصال العميق بين الاستيطيقا والعقيدة، حامل رسالة كونية، تخرج الذات من أنانيتها إلى الانفتاح على الآخر، بمعاني الحب والجمال.

الكلمات المفتاحية: الفن، الدين، الفن الإسلامي، الحضارة، الكونية.

Abstract :

This intervention aims to clarify the features that distinguish Islamic art, with its clear message that confirms the deep connection between art and religion, its sublime principles that are related to the mosque, the Islamic belief and the civilizational dimensions of art that make universal prayer affect all other beliefs, all of this needs an analysis of these issues, and a procedure Archeology digs into "Garaudy" discourses to confirm the lofty dimensions while disassembling these discourses in search of details that confirm the strength of the doctrine. The most important finding was that Islamic art expresses that deep connection between aesthetics and belief, carrying a universal message that takes the self out of its selfishness to openness to the other with meanings. Love and beauty.

Key words: art, religion, Islamic art, civilization, cosmology.

1. مقدمة:

الحضارة الإسلامية، بفكرها، بعلومها، بفنونها، حضارة إنسانية، عالمية؛ لقيت اهتماما كبيرا لدى الكثير من الباحثين من مشارق الأرض إلى مغاربها، على اختلاف توجهاتهم واهتمامتهم؛ رحّالة، علماء، مؤرخين، فلاسفة ومستشرقين فانطلقوا يدرسونها، يتباحثونها فيترجمون وينقبون، في محاولة جادة لمعرفة مكنوناتها، وفي الأخير تأرجحوا بين معترف بقوتها، وتميزها، من خلال دورها العميق في التراث العالمي والفكر الإنساني، وبين قائل عكس ذلك.

والفن واحد من المواضيعالتي اهتم بها الباحثون، فذهب بعضهم خاصة من المستشرقين إلى تجريد الإسلام من كل فنّ، معتقدين أنّ الإسلام لم يترك في نفس المسلم مكانا له بل رفضت تماما فكرة ربط الفن بالدين، وهناك من أكّد على وجود الفن عند المسلمين إلاّ أنّه فارغ من المحتوى لا هدف له ولا غاية منه، مجرّد شكليات وفقط، وذهب فريق آخر إلى الإقرار بأن فنون الإسلام كالرسم والنحت هي فنون غريبة عن المسلمين، نقلوها من غيرهم، خاصة الحضارات الشرقية القديمة كالهند والصين.

لكن في مقابل هؤلاء الباحثين هناك من أقرّ إقرارا مبينا، بالدور الكبير الذي لعبه المسلمون في ميادين شتى؛ خاصة الفن، فتبيّنوا وبيّنوا دوره الكبير في مسيرة الحضارة الإنسانية، تعبيرا عن أصالة التراث الإسلامي وعالميته في الوقت نفسه،ومن الباحثين المتميّزين في هذا السياق نجد: الفيسلوف الفرنسي "روجيه غارودي" Roger Garaudy (1913- 2012) الذي كشف عن أصالة هذا الفن، وجماليته، بالاضافة إلى اجتماعيته وكونيته، ليحمل في ذاته أبعادا حضارية كبيرة، في محاولة للردّ على المشككين، والمحاولات المتوالية، ولّدت إشكالية على قدر كبير من العمق والتعقيد: هل للفن الإسلامي فعلا أبعادا حضارية؟

وهذه الإشكالية على ترامي حدودها ولّدت مجموعة من المشكلات الجزئية: ما طبيعة العلاقة بين الدين الإسلامي والفن؟ كيف يمكن للفن الإسلامي أن يؤدي رسالة كونية في ظل ارتباطه بالمسجد؟ هل يتناقض الفن مع العقيدة الاسلامية؟.

2. مطارحات جمالية وروحية في الفن الإسلامي:

لا ينبغي أن نفهم من الفن الإسلامي، مجالا يتحدث عن عقيدة، أو يقدّم مواعظ وإرشادات، إنّه أشمل من هذا وأوسع، ليصل إلى ذلك التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصوّر الإسلامي لهذا الوجود، فهو يعبّر عن ذلك التأمّل البديع الرائع والجميل في الكون، بتصوّر إسلامي يورد فيه الوجود كله يريد منه أن يكون شموليا، يتناول حقائقه بنظرة إسلامية واسعة، باحثا عن التأمل في جمال الكون والحياة والإنسان، منطلقا من التصور الاسلامي لهذه الحقائق، فهو كما يقول الكاتب الاسلامي المصري " محمد قطب" (1919-2014): " إنّه الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود، هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان" (قطب، 1983، صفحة 119)

انطلاقا من هذا فالفنان المسلم؛ اتجه بفنه نحو الطبيعة؛ متأمّلا فيها من أنهار وبحار وحيوانات ونجوم وحتى الإنسان نفسه، مجسّدا إحساسه بالجمال والعظمة، معبرا عن قدرة الله الذي ليس كمثله شيئ، وهكذا كان الفن الاسلامي غنيّا ومتنوعا لأنّه استعمل الطبيعة والعقل معا (خبيزي، 2017، صفحة 314)، هذا الثراء يؤكد على المكانة التي يحتلها في تاريخ الفن البشري، ردّا على الذين يعتقدون أنّه لا يمكن أن يكون هناك وجود للشيئ اسمه: " الفن الإسلامي" ، فكما استطاع المسلمون إبداء قوتهم في كثير من العلوم والمعارف، كذلك الحال ذاته بالنسبة للآداب والفنون.

وبهذا يَثْبُتُ أنّه لا يوجد تعارض بين الفن والدين، فهو مجرد خصام تقليدي لا جدوى منه، ذلك أنّ الفن الإسلامي إنّما :" هو تعبير عن الكون والحياة والإنسان، من خلال التصور الديني، لكأن الفن جزء من الدين، أو نبض من نبضاته، موجه بقيمه وروحه، من أجل تحقيق السّعادة، وبهذا لا تعارض بين الدين والفن في ظلِّ المفاهيم الإسلامية ولا سبب للفنّان المسلم لذلك الخصام التقليدي بين الفنّ والدين" (الكيلاني، 1971، صفحة 54)، هي صلة وثيقة تؤكد دائما على حضور هذا الطابع في الحركة الاسلامية، منذ ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية، ولعبت هذه العلاقة دورها الكبير في نشر العقيدة وإيصالها إلى شتى أمصار الأرض، كل هذه التطوّرات تؤكد أنّه لا يوجد تناقض بيّن بين الفن والدين.

وبالرجوع إلى تاريخ العلاقة بينهما في الحضارة الإسلامية، نجد أنّه عندما جاء الإسلام؛ سارع إلى استخدام فنون عصره من أجل نشر دعوته، والردّ على المشككين، فكان القرآن الكريم قمة في البيان، وقوة في

الفصاحة والبلاغة، إنبهر أمامه الأدباء والشعراء، فيه ألوان فنية من القصص، ليكون هذا البناء بشكله الفني الرائع، متميزا في عالم التعبير والتأثير والايحاء، إضافة إلى ذلك فقد شجّع رسول الاسلام الشعراء في إنشاد الشعر، من أجل الردّ على الأعداء (الكيلاني، 1971، صفحة 41، 42).

وبهذاسيتأدب الفن بآداب الاسلام، متشربا من روحه، متآلفا مع جوهره، المتمثل في العقيدة الإسلامية، التي عمادها القرآن والسنّة النبوية في تجسيد لمكنوناتها، في إيمانها المطلق بالله، الواحد القهّار، المبدع المصوّر، وفي ظلّ هذه العقيدة يبحث الانسان المسلم عن النجاة في الدنيا والآخرة، بالعمل الصالح، متأملا بالعبادة أمام الكون، مؤمنا بملكوت السماوات والأرض (علي، 2010، صفحة 151)، وهاهو جوهر العقيدة يتجسد فعلا في الفن بصوره ومعانيه وأهدافه السامية، ليعبر عن صورة التلاحم الكبيرة بين السماء والأرض بين الفن والدين، فلا تناقض ولا صراع، بل مواءمة وخدمة.

اعتبارا لهذا كان الفن الاسلامي متميزا عن غيره من الفنون، لتعلّقه بالدين والعقيدة آخذا مبادئ تتماشى مع روحها، منها البعد عن الترف، مثل صنع المحاريب من الخشب بدل الذهب، وكره تصوير الكائنات الحية، فقد غلب على الفن الاسلامي روحانية مصدرها التعلق بما وراء الطبيعة، والتأمل في ملكوت السماوات والأرض، فكانت لا تصور الكائنات الحية، ولا يجوز بناء تماثيل ، ليميل الفن الى التجريد، حتى لا يكون وسيلة لعبادة الأوثان أو معصية الله والرسول، فضلا عن الانصراف عن التجسيم التي دفعت الفنان المسلم إلى تغطية تماثيله الآدمية والحيوانية بالزخارف الفنية الجميلة (علي، 2010، صفحة 151، 152، 153). اعتبارا لهذا توحي هذه المبادئ أنّ الفن الاسلامي عن أصالة، يعبر فيها عن روح العقيدة، بما جاء على لسان الوحي، ليبرهن عن حكمة سامية، تجلت فيها الأوامر الربانية فعمل الفنان المسلم على تجسيدها من أجل الفوز في الدنيا والآخرة،

إنها المبادئ التي جعلت بعضهم يؤكّد على أن الفن الاسلامي يمثل كل ماهو " روحي، فهو ثمرة رؤية روحية للإسلام، والوجود والحقيقة ؛ إنّه يعبّر عن الفكرة المطلقة، التي تعدّ محور الكون، وبذلك يكشف عن الجمال اللاّمتناهي والمطلق، الذي هو أصل الموجودات ومصدرها، والفنّان المسلم يسعى إلى المعاني الكامنة وراء الأشياء" (الحسيني، 2015، صفحة 8)، لنعود مرة أخرى إلى تلك الميزة التي تسامى بها الفن الإسلامي فوق الموجودات المادية، لينتقل إلى ماوراء المعاني الجوّانية للأشياء، بحثا عن الغوص في حقائق الوجود التي تقدم رؤية تأملية لملكوت السماوات والأرض، تجسيدا لرسالة نبي الإسلام التي كان يدعو فيها دائما لتحقيق غاية العبادة.

إنّ هذه المطارحات تؤكّد أن للإسلام فنّه، الذي تماشى مع روح العقيدة وعمادها، جلاّها ربّها في أحسن صورة،عبّرت عن حقيقة الابداع في الكون والحياة، تؤكد دائما أنّه لا تناقض بين الفنّ والدين الاسلامي، الغاية واحدة، وإنه كما للمسلمين حضاراتهم بثقافتها وبعلومها والتي استطاعت أن تحتل مكانتها في تاريخ الإنسانية، كذلك لهم فنونهم، التي تعبر عن تفرّد هذه الحضارة وتميّزها، وتزداد الأمور تجلّيا ووضوحا مع " روجيه غارودي" الذي بحث في الفن الاسلامي كثيرا، وقدم رؤيا، أعطت له بعدا حضاريا كبيرا، احتل بها مكانة ريادية في تاريخ الفنون.

3.مسارات ومدارات الفن الإسلامي عند " روجيه غارودي" :

كان "روجيه غارودي" لفترة طويلة عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي Communist Party of France قبل أن يصبح لبعض الوقت مسيحيا، وكان قبل ذلك يهوديا، وفي رحلة روحية طويلة اعتنق الاسلام أخيرا، واستنكر بشدة فردانية وأنانية الغرب المسيحي Christian West دعا بقوة إلى حوار الحضارات dialogue of civilizations حيث قدّم لقرائه إسلاما مثاليا، جلب للحضارات روح حياة مشتركة جديدة، فأكّد على أنّ الاسلام لم يدمج فقط أقدم الثقافات وأكثرها تطورا كالصين China والهند India وبلاد فارس Persia الاسكندرية Alexandria وبيزنطة Byzantium بل جعلها مثمرة، ونشر ها من بحر الصين Chinese sea، إلى المحيط الأطلسي Atlantic، ومن سمرقند Samarkand إلى "تمبكتو" Timbuktu (Küng, 2007, p. 16).

لقد اعتبر الدارسون أنّ مرحلة الاسلام كانت قطيعة"جارودي" مع ما كان ينتمي إليه ومع مبائه، في إشارة إلى الانقلاب على أعقابه، وخسارة قيمه، ولكن أثبت عكس ذلك، فقد كان يبحث خلال مسيرته الطويلة، عن قيم مثلى وسامية كالتعالي والمجتمع، لم يستطع العثور عليها لا في الشيوعية ولا في النصرانية، بل في الاسلام، إنّه كان يبحث عن النقطة التي يكون فيها الابداع الفني والعمل السياسي واحدا، فدخل في الاسلام دون أن ينكر شيئا مما جلبه يسوع في حياتيه، لأنّه في القرآن نبي الإسلام ، ولا ما علمته الماركسية لتحليل مجتمعاتنا والتصرف بفاعلية فيها ، لأنّ العقيدة الإسلامية لا تستبعد أي علم وأي تقنية الاسلام دين الجمال، وأخلاق العمل، فلم يكن الاسلام في حياته قطيعة، أكثر من كونه إنجازا (Gauvin, 2018, p. 416).

أكّد" روجيه غارودي" على تلك الصلة القوية، التي تربط الفن بالدين في البلاد الاسلامية الفنّ عبادة، الفن تعبير عن الدين، وتأمّل في ملكوت السماوات والأرض، الفنّ صلاة، يقول : " كل الفنون تؤدي إلى المسجد، والمسجد إلى الصلاة" (غارودي، 1999، صفحة 6)، بل وأكثر من ذلك؛ حرصه الشديد على تبيين دور الفنون في فهم العقيدة الاسلامية، ليست الفنون المنغلقة على ذاتها، والمتشربة من محيطها وثقافتها فقط، بل الفنون المنفتحة على الآخر المتأثرة به، والمؤثرة فيه، حتى نبتعد تماما عن التأسيس لإيديولوجيات تفتح الباب لنقاشات فارغة من المحتوى، فتميُّز الفنّ الاسلامي لم يمنعه من التواصل والحوار مع حكم أخرى يقول :" لا مندوحة لي أن أشهد بتجربتي الشخصية، ذلك أنني انطلاقا من تأمل فنون الإسلام ومساجده، إنّما شرعت أفهم العقيدة الاسلامية، بتأكيدها الجذري على التعالي، وفي الوقت ذاته، ومن خلال القرآن، وعبر الشعر الصوفي الخارق، على انفتاح يمتد إلى إمكان حوار خصيب مع حكمة آسية والهند واليابان (غارودي، 1999، صفحة 6).

و التعالي الذي أكّدت عليه العقيدة الاسلامية، لا ينبغي أن نفهم منه، شيئا سلبيا أو دعوة عنصرية، إلى التميّز عن الآخرين، وبالتالي الترفع عن الاتصال بهم والحوار معهم بل التعالي شيئ أكبر من ذلك، بل وأجمل، إنّه كما يقول " غارودي":" هناك شيئ مشترك بين الجميع، هو التجربة المعيشة للتعالي من خلال التجرد وتلقي الآخر...التعالي هو الوجه المضاد للعنصرية...التعالي هو مضاد للفردية...فالإنسان هو مواطن في جماعة" (غارودي، كيف نصنع المستقبل، 2002، الصفحات 261-262)، لهذا سيعبر الفن عن هذه الخاصية التي تجعل الإنسان ليس منغلقا على ذاته،بل مشارك في جماعة، يؤثر فيها ويتأثر بها، فالفنّ " ليس حزمة من الوظائف الاجتماعية، من الألقاب، والممتلكات التي تكونني كفرد، بل هو على العكس، ما يجعل مني شرارة الحياة المتقدة أبدا، المشارك في التدفق الخلاّق الذي هو الينبوع لكل شيئ، ما يجعلني واحدا مع الكل" (غارودي، نحو حرب دينية، جدل العصر، 1997، صفحة 117).

ذلك ما نلمسه في العقيدة الاسلامية، التي تسامت بكل ما فيها، فحمل الفن خصائصها التي هي من خصائص الاسلام الذي " استفاد وأفاد بالايجابيات التي اشتمل عليها، هو ذاته كطبيعة الدعوة ومضمونها، وإنسانية أحكامها، وانسجام تعاليمها مع المنطق والعقل والانفتاح على الحضارات المختلفة، والتسامح الذي لا مثيل له، ثم ردّ الأمور كلها إلى الله وحده، فهو الأول والآخر، وهو القاهر فوق الجميع، ولا حول ولا قوة إلاّ به" (شرف، د-س ، صفحة 23)، وارتباطه هذا بالعقيدة لا يعني أنها ترتبط بحضارة الإسلام فقط، بل أساسه تلك العقيدة، ورسالته عالمية،إنّه كما يقول " روجيه غارودي":" إنّ الفن

الإسلامي، الاسهام الهائل الذي شارك به الفن العالمي، والمشاركة العظمى التي يمكنه أن يؤديها، لبناء مستقبل مشترك للبشر، إنّ هذا الفن كالعلم وكالحياة الاجتماعية، أو الفلسفة، لا يمكن إدراكه إلاّ من مبدئه الناظم: العقيدة الإسلامية" (غارودي، وعود الإسلام، 1985، صفحة 143).

إن هذا العالمية تؤكد على وحدته وشموليته، الوحدة التي لا اختلاف فيها، والتي جاءت تلبية لنداء الله، فنجد " غارودي " في هذا السياق ينطلق لينتقل من الواقع إلى التجريد من الوجود إلى معاني هذا الوجود، والتي تتجلى كمعاني ربانية تعبر عن قدرة الخالق وقوته وعظمته. والابداع الفنّي الحقيقي هو الذي " يساعدنا بطريقة أفضل على فهم هذا العبور من الوجود إلى المعنى، من الوجود إلى التجلّي الإلهي الذي يحمله في داخله (غارودي، كيف نصنع المستقبل، 2002، صفحة 261).

وأهم معنى في هذا السياق هو التوحيد، الذي هو أساس العقيدة، وجوهرها، ولا ينبغي أن ينصرف المؤمن، بما يفعله عن هذا المعنى، فالمطلوب منه هو التجرّد من الدّنيا وزينتها ليوجّه الفكر إلى الواحد الأحد، والفنون ذاتها ستلعب دورها في التعبير عنه، انطلاقا من المجاز الدنيوي، خلال رياضية عقلانية، وموسيقى تذكّر بتلك الوحدانية، فنجد: تنوّعا مختلفا، في زخارف السقوف، في تلك المعاجين المرمرمية البلورية ذات الأشكال المختلفة في محاريب تلمسان، وفي قاعة الأختين في الحمراء بغرناطة (غارودي، وعود الإسلام، 1985، صفحة 146)، والأمثلة على ذلك كثيرة، فكل شيئ يقود إلى الواحد الأحد،ليثبت مرة أخرى " جارودي" أنّه لا شيئ ينفصل عن العقيدة الاسلامية؛ " التي تعين لها غاياتاها الإلهية والإنسانية، والحياة بجميع أبعادها تجد في الله وحدتها" (غارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، د-س، صفحة 75).

ليكون الفن انطلاقا من هذا رسالة إنسانية، تدعو إلى توحيد الله، فتكتسي جانبا روحانيا، يعبر عن الانسان من حيث هو انسان، في مجتمعات يحضر فيها الله، من خلال ذلك النظام البديع، والتناسق الرفيع، الذي يقود إلى التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وفي هذا السياق يرفض " غارودي" تلك التوجهات غير المؤسسة، والفوضية، التي تجعل الفن دون غاية، أو له غاية واحدة وهي الفن، من اجل المتعة والتسلية، يقول :" الفن من أجل الفن' أي الفن بلا رسالة، حيث الهدف هو التسويق والموضة...هذه بعض صور الشرك والفوضى في مجتمع بلا إله، وتحكم حياة الغاب" (غارودي، الإسلام والقرن لواحد والعشرون، شروط نهضة المسلمين، د-س، صفحة 44)، ولا ينطبق ذلك في الفن الاسلامي، الذي لا يسوّق لا للموضة ولا لشيئ آخر مشابه من ترف الدنيا، إنّه يدعو من خلال المسجد

إلى التأمل في ملكوت السماوات والأرض، إلى توحيد الله، ليدلّ على نظام يحكمه العقل، العقل الذي يقود إلى عبادة الله، والالتزام بالعقيدة.

هذه المسارات والمدارات التي يتربع عليها الفن الإسلامي، ستجعله يحتوي على أبعاد حضارية عالمية، تتيح له أن يحتل مكانة راقية في سلم الفنون العالمية ليحمل رسالة روحانية تتجلى من خلال الأهداف السامية التي تحتويها بين طياتها، والتي لا تخدم الإنسان المسلم فحسب، بل الناس أجمعين، وتلك الميزة الراقية في هذا الفن.

4. الأبعاد الحضارية للفن الإسلامي عند " ورجيه غارودي"

لقد لمس "غارودي" في الفن الإسلامي، وضوح البعد الديني، فالفنون الإسلامية مهما تنوعت، فهي تعبير عن العقيدة الإسلامية وسمّوها، طبعا كما أكّد عليه سابقا، حيث قادته تجربته الشخصية، انطلاقا من تأمّل فنون الإسلام، ومساجده، إلى فهم عظمة العقيدة الإسلامية، بتأكيدها الجذري على التعالي من خلال القرآن وعبر الشعر الصوفي الخارق"، فقد أولى ""غارودي" عمارة المسجد اهتماما بالغا في توجهه التأملي حتى ذهب إلى أن المسجد هو البدء والمنتهى في الفنون الإسلامية، فالمسجد أصدق وأوفى تعبيرا عن العقيدة الإسلامية، ولعلّ هذه المكانة العالية التي وضعها "غارودي" للمسجد هي التي دفعته لأن يقول مقولته الشهيرة "كل الفنون تؤدي إلى المسجد والمسجد يؤدي إلى الصلاة" هو ذلك المسجد فعلا؛ ذو البعد الديني والذي قال عنه " غارودي" :" يستجيب الجامع بطبيعة بنيته نفسها لوظيفته، فهو لايشبه الكنيسة المسيحية، ولا المعبد اليوناني، إذ أنّه ليس مثوى يحتوي على رفاتِ القدّيسين، وهو ليس إطارا من الزخرف لاحتفال ديني...إن الجامع يمتد عرضانيا، كي يتيح لأكبر عدد ممكن من المؤمنين؛ الصلاة بمواجهة القبلة والمحراب" (غارودي، وعود الإسلام، 1985، صفحة 145)

إنّ الفن المعماري للمسجد، يريد أن يفصح عن رسالة دينية، يكون فيها مكان العبادة ليس بالمكان الذي تؤدى فيه طقوس، لا حاجة لنا بها، بل توجّه نحو القبلة، لعبادة الله وحده، والتقرّب إليه بالأعمال الصالحة من ذكر، ودعاء، ليس في الشكل الخارجي للمسجد وفقط، بل حتى في محتوياته، كالمصحف مثلا حيث " لا ينفصل العادي عن المقدس، إنّه وهو ينمو في جميع اتجاهات الحياة؛ يعرف كيف يظلّ أمينا على وحيه الأوّل، وثابتا في أمانته، التوجيه إلى الصلاة، ويمكننا أن نشاهد تجلّيه حتى في تزيينات المصحف

التي توجد في أنواع الزخارف، فوق صفحة نحاس، أو جلد أو في سجادة صلاة" (غارودي، حوار الحضارات، 1999، صفحة 146).

فالمسجد بالرغم من كونه مكانا يضمّ قدرا هائلا من الزخرفة والنقوش، والأشكال الهندسية، والعقود ... إلاّ أنه في الوقت ذاته يقوم بدور الشهادة الأمينة، المستمرة على عظمة العقيدة الإسلامية وعلى الحضور الإلهي، والأمر لا يقتصر على المسجد، فحسب إذ نجد الأمر عينه بالنسبة لباقي الفنون الأخرى، كالخط العربي الفائق الجمال، الذي ارتقى مجسدا لكلام الله أعلى قمم التعبير، ممجداً القول الربّاني ناشراً آياته فوق كلّ شيء، ولعلّ هذه الأهمية هي التي جعلت "غارودي" يولي أهمية بالغة للخط العربي، لما له من بُعد ديني عظيم، فيه يتجلّى الحضور الإلهي يقول:" إن فنّ الخط هو مع الأشكال الهندسية من الزخرفة العربية، الوسيلة الثالثة التي تذكّر بالحضور الالهي" (غارودي، وعود الإسلام، 1985، صفحة 174).

ومن أوجه تأثير البعد الديني للفن الاسلامي على الحضارة الغربية نجد: " الشعر " خاصة الصوفي منه، إذ يقول " غارودي":" لقد أثّر الشعر الاسلامي في الغرب وهذا الشعر يولي الحب في شكله الصوفي أهمية كبرى" (غارودي، حوار الحضارات، 1999، صفحة 138)، إنّه الشعر الذي يعلمنا كيف نقرأ قاعدة الحبّ الإلهي، فالصوفي يحيا الحنين والاندماج مع الله، ويغنّي ذلك في قصائده وأشعاره، إنّ الصوفي من خلال أشعاره يسعى إلى وصف الحب القوي لله، والسعي إلى التقرّب منه، ولعلّ هذا ما أكّده "شبنغل" Oswald Arnold Gottfried Spengler (1880-1936)عندما قال: " أمّا الروح العربية في حنينها إلى المطلق، لا بد أن تنساها نسيانا مطلقا، فالزخم الذي يفيض منها زخم صوفي بكل ما لكلمة صوفي من معنى، وهو لا يستهدف أبدا في كل نشاطاته، توفير الأسباب التي تسير لها المتع الجسدية، بل إنّما يستهدف أولا وأخيرا، الاندماج مع الحق الذي هو الله" (شبنغلر، د-س، صفحة 24).

روحانية تسمو بالإنسان، لتحمل طابعا دينيا، يطلب فيه احترام العقيدة الاسلامية في ارتباط جميل بالله، تذلّلا وحبا، وهو الذي ليس كمثله شيئ، فتأتي القصائد المرتبطة بفن الشعر معبرة عن ذلك، في صورة جميلة ترجمتها آثار السالفين، قصائد معبرة عن اتحاد بين حب لله وحبّ الإنسان، حتى الموسيقى كانت بناء دينيا كبيرا، وروحا طاهرة، أثرت في الغرب بشكل كبير يقول " غارودي":" وفي الفنون كان منهل شعر الغزل بالنسبة لأوروبا في الاندلس -ابن حزم القرطبي-، كما أنّ الموسيقى الأندلسية لم تتوقف عن الصدح في الغرب منذ قرون" (غارودي، الإسلام في الغرب، 1995، صفحة 8).

بالإضافة إلى البعد الثقافي والاجتماعي للفن الإسلامي: إنّ الفنون الإسلامية لا تقتصر حسب"غارودي" على الكشف عن عمق، وأصالة الحضارة الإسلامية وثقافتها بل تتعدى إلى الكشف عن تأثير الثقافة الإسلامية، في حضارة الغرب منذ أيام "ابن مسرة" "ابن حازم" و"ابن باجة" و"ابن طفيل" و"ابن رشد" و"ابن عربي"، وقوة انتشار هذه الثقافة في جميع أنحاء أوروبا، "فغارودي" بيّن أثر المفكرين والفنانين المسلمين، على الغربيين أمثال "دانتي" و"غوته" وغيرهم، كما فعل"مسجد قرطبة" الذي كان مركز إشعاع الثقافة العربية الإسلامية، الذي رفع لواء العلم، والحكمة والعقيدة الإسلامية والتصوف، والذي ترك تأثيرا كبيرا في الكثير من القديسين المسيحيين "كيوحنا الصليبي" وغيره، فأخذوا ونهلوا من التعاليم في" مسجد قرطبة" (كلاوي، 1990، صفحة 231، 232).

واجتماعية الفن الإسلامي نجدها كذلك متجلية في الشعر الاسلامي، خاصة في مسائل الحبّ الإنساني، والحب الإلهي، الذي من خلال نخرج عن ذاتنا، عن أنانيتنا وفردانيتنا لنجتمع مع الآخر، فنحبه كما هو، من خلال هذا الاندماج سنصل إلى الحقيقة العليا ليتبين أنّ الانسان في كل ما يقوم به، بما في ذلك الفن لايستطيع العيش بمعزل عن الآخرين يقول " غارودي":" إن الجمال والحب في الشعر الإسلامي يملكان القدرة على إيصالنا للحقيقة العليا...إلى معرفة الله...ذلك أن الطريق الأسهل للذهاب إلى الله هو إنكار الأنانية المنغلقة على ذاتها، في الحب نحطم هذه الأنانية التي تحبسنا في ذواتنا لقبول الآخر من أجل حبّه كما هو، فإننا ننفتح على الآخر" (غارودي، وعود الإسلام، 1985، صفحة 173).

وفي النهاية سيوصلنا هذا الفن إلى التوحيد بين الأمم، بين الشرق والغرب، وفي تطوره سيصل إلى ذلك، بعيدا عن السياسة، وأي ايديولوجية، بعيدا عن التفكير التاريخي المنزاح إلى الذاتية، سيوحدنا الشعر الاسلامي في تطوره، أو بتعبير " غارودي":" إذا نحن استبقنا التاريخ والسياسة، فإن هذا الشعر يساعدنا على الوعي، بأن الشرق والغرب ما هما إلاّ شطرين من موجود واحد، وإن مهمتهما الأساسية هي إعداد نفسيهما لسكنى نفس المستقبل والعيش فيه" (غارودي، وعود الإسلام، 1985، صفحة 185).

إنها أبعاد حضارية توحي في كل لحظة أن الفن الاسلامي ظهر ليؤسس لنظرة كونية تتجسد فيها وحدانية الله وعظمته، من خلال معاني الحب والصداقة، نبذ الأنانية والتعصب، ومن ثمَّ الانتقال من الأنا إلى الآخر، في تأثير عميق يعترف بالآخر، ومكانته في سلم التأسيس للفكر الإنساني على تنوّعه، في العمارة والشعر والزخرفة، في المسجد في الصلاة، كل شيئ يجسد لفن أصيل أراد أن يجمع الشرق والغرب في وحدة، للسكن في مستقبل، تريد من خلاله البشرية أن تنعم بمعاني الخير التي تبتعد كليا عن التعصب

والانتصار للذات.

وفي الحقيقة يبقى هذا الطرح له محدوديته، خاصة وأنّ بعض المفكرين يؤكدون على أن إسلامية "غارودي" غير مقنعة، لانها أرادت المزج بين المتناقضات والمتضادات، حتىّ في تحامله على الحضارة الغربية كان هناك شيئ من التناقض، خاصة وأنّه بقي يستعمل أدواتها وأساليبها، حتى عقلانيتها الفلسفية في الدفاع عنها، وينطبق تماما على جميع الأطروحات التي قدمها، بما فيها نظرته للفنّ الاسلامي، فـ" روجيه غارودي" كما يقول المفكر اللبناني " علي حرب" :" رغم اعتناقه للإسلام إلاّ أنّه لا يقنع المسلمين كثيرا في إسلامه وبالرغم من تحامله على الثقافة الغربية، والعقلانية الفسلفية، فإنّه لا يتوقف عن استخدام منجزات الفكر الغربي، في قراءاته وتأويله أو في دفاعه وسجالاته" (حرب، 1997، صفحة 52).

5. خاتمة:

لم يكن الفن داخل حضارة الاسلام في صراع مع الدين، والدين يقبل جميع الفنون مادامت تؤدي إلى توحيد الخالق، وأطروحة " غارودي" تصب في هذا السياق، إذ يؤكد الفن الاسلامي بعمارته، وزخرفته، بالمساجد والقباب، بالشعر والموسيقى، على ذلك الاتصال الوثيق بينهما، عملا بمقتضيات العقيدة، ودعوة إلى توحيد الله من أجل الوصول إلى الحقيقة الكونية الكبرى.

ولم يكن لهذا الفن أن يتعارض مع أيّ عقيدة أخرى، مادامت هناك صلاة كونية، يخرج فيها الانسان عن أنانيته، ليعترف بالآخر في أبعاد دينية وثقافية واجتماعية، تجمعها معاني الحب والمستقبل المشترك، والانسانية، في روحانية صوفية جمالية ، تجعل الشعوب غير الاسلامية تتأثر بها، وهذا ما تجلى فيه تأثير الفن الاسلامي، على الحضارات الاخرى، لأنّه لا يتعصب لتوجه معين، بل جمع منجزات حضارات أخرى كالصين والهند، ومصر وفارس وأوروبا وغيرها.

6. قائمة المراجع:

أ. **اللغة العربية:**

- أسوالد شبنغلر. (د-س). *تدهور الحضارة الغربية*. (أحمد الشيباني، المترجمون) بيروت: مكتبة الحياة.
- أمينة الصاوي، عبد العزيز شرف. (د-س). *رجاء غارودي وحضارة الإسلام* . القاهرة : مكتبة مصر .
- حسين علي. (2010). *فلسفة الفن رؤية جديدة* (المجلد 1). بيروت: دار التنوير.
- رامي كلاوي. (1990). *روجيه غارودي من الإلحاد إلى الإيمان* . بيروت: دار قتيبة .
- روجيه غارودي. (1985). *وعود الإسلام* (المجلد 2). (ذوقان قرطوط، المترجمون) بيروت: دار الرقي.
- روجيه غارودي. (1995). *الإسلام في الغرب* (المجلد 1). (ذوقان قرطوط، المترجمون) سوريا: دار دمشق.
- روجيه غارودي. (1997). *نحو حرب دينية، جدل العصر* (المجلد 2). (صياح الجهيم، المترجمون) بيروت: دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع.
- روجيه غارودي. (1999). *حوار الحضارات* (المجلد 4). (عادل العوا، المترجمون) بيروت: عويدات للنشر والطباعة.
- روجيه غارودي. (2002). *كيف نصنع المستقبل* (المجلد 3). (منى طلبة، أنور مغيث، المترجمون) القاهرة: دار الشروق.
- روجيه غارودي. (د-س). *الإسلام والقرن لواحد والعشرون، شروط نهضة المسلمين*. (كمال جاد الله، المترجمون) مصر: الدار العالمية للكتب والنشر.
- روجيه غارودي. (د-س). *لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة*. (عثمان الخشت، المترجمون) القاهرة: مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع.
- علي حرب. (1997). *الاستيلاب والارتداد، الإسلام بين روجيهغارودي، وناصر حامد أبو زيد* (المجلد 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- قاسم جليل الحسيني. (ديسمبر , 2015). التوجهات الروحية في الفن الإسلامي. *مجلة متون، 8*، 29-7.
- محمد خبيزي. (مارس, 2017). قراءة نظرية في الفن الإسلامي. *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، 5*، 334-305.

- محمد قطب. (1983). *منهج الفن الإسلامي* (المجلد 6). القاهرة: دار الشروق.
- نجيب الكيلاني. (1971). *حول الدين والدولة* (المجلد 1). بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

ب. اللغات الأجنبية:

- Gauvin, D. (2018). Un intellectuel communiste illégitime : Roger Garaudy. In O. IHL (Ed.), *Université Grenoble Alpes*, (pp. 415-416). France.
- Küng, H. (2007). *Islam Past, Present, and Future.* England: Oneworld Publications.